

فهو : « التنوير » بزحزحة الخرافة عن كواهلنا • يبدو أن الصبية الكبيرة مرت بنفس التجربة ، وانتهت بكشف سر زوجة أبيها • ومن ثم فهي ترجع الأحداث التي تنسب الى زائر الليل الى أسبابها الحقيقية أو المحتملة • فالقطة هي التي قتلت حمام جارهم • وعندما تحاول الصغرى التماذى فى ذكر الأمثلة يحتد صوت الكبرى : « ستقولين وبركة الماء التي جفت ! فأقول لك ان الماء يتشرب فى الرمل • ستقولين عن القدور التي لا نجدها ! فأؤكد لك أن زوجة أبى تعطيها لأهلها • • و • ستقولين كثيرا مما تسمعين • • وأقول لك انه هراء • • وأكاذيب » • وماذا عن الأجنحة والظلال ؟ • • تقول الكبرى : « فى الليل تكثر الحفافيش » ثم تنهى استطرادات أختها التي ركبها الرعب : « لكنك عطشانة • • وسأحضر لك • • ستشربين وتنامين ولن تفكرى بعد فيما تقوله هذه المرأة » •

وتدور قصة : « الاشاعة » حول هذا المعنى ، وان حاول العنوان تعميمه ، ليشمل كل ما يطلق من شائعات • وفى قصة : « حين تيكى المدن » • • ومن أجل التنوير أيضا تتعرض الكاتبة لمذيعات السحر لتفضيح أباطيلهن • فبعد مآزحات ومداعبات تصارح الصبية الصبى ببراءة عن حقيقة محتويات « البقشة » التي تحملها : « أمى تعمل السحر لبيت جيرانكم • • ولكل من يطلب منها : تبول فى الزجاجات وتوهم النساء أن هذا دهان • • اذا دهنت الواحدة منهن ملابس زوجها فى غيبته لا تنشغلان بامرأة سواها • • ولا يسمع لكلام الناس عنها • • ولا يتفوه على زوجته بكلمة تجرح مشاعرها • • » • وكما استعانت بالسحر فهي تستعين بالطب الشعبي بقصة : « ويبقى الظل وحده » • فعندما سقطت الجمرة على عين محيسن فاحترق جزء من جفنه : « حملوه الى « أبو فاضل » الذى كور عجينة ذات رائحة غريبة وضغطها على عينه وربطها • وأمرهم ألا يفتحوها وأن يعودوا به بعد أسبوع ليفكها بنفسه • وفى الموعد المحدد رفع أبو فاضل الرباط • فبذت عين محيسن « مشبونة » لا يكاد يفتح جفنها » •

ولا نستطيع أن نفصل فى أصول الحكايا الشعبية والخرافية بين الموضوعات الدينية والموضوعات التي تنشأ عن العادات • فنحن مع القائلين بأن العادات قد نشأت عن أصل دينى ، ثم يهت الأصل وبقيت العادة • ومن تلك العادات أو المعتقدات أن سقوط النعل على الآخر عفوا معناه السفر • وأن وضع حجر على حجر معناه استمرار الشجار • فيقولون فى بعض البلدان المصرية : « طوبة على طوبة ، خلى الشكلة منصوبة » • وفى قصة : « على سفر » كانت الأم تحرص على ألا يركب نعلا الأب واحدا فوق الآخر لأنها تكره بعده عنها • ويكون السفر فى هذه المرة هو الرحيل